فقال له رجل منهم مهلا نتت الساعة فقال يا اخي اما علمت ان الملوك لا تقبل الامان في حال القيد
ولهي رقبته الغل انما يقبل الامان من هو راكب الفرس والسيف مجرد بيده فبكى القوم جميعا ومعنى
هذا ان التايب في صحته بمنزلة من هو راكب على متن جواده وبيده سيف مشهور فهو يقدر
على الكر والفر والقتال وعلى الهرب من الملك وعصيانه فاذا جاء على هذه الحال الى
بين يدي الملك كان دليلا على انه طالب لامانه فصار بذلك من خواص الملك واحبابه
لانه جاءه طايعا مختارا راغبا في قربه وخدمته واما من هو في اسر الملك وفي
رجله قيد وفي رقبته غل فانه اذا طلب الامان من الملك فانما طلبه خوفا على نفسه من
الهلاك وقد لا يكون محبا للملك ولا مؤثرا لرضاه فهذا مثل من لا يتوب الا في مرضه
عند موته والاول بمنزلة من يتوب في صحته وقوته وشبيبته لكن ملك الملوك اكرم
الاكرمين وارحم الراحمين وكل الخلق اسير في قبضته لا يعجزه هارب ولا يفوته ذاهب
كما قيل لا اقدر ممن طلبته في يدي ولا اعجز ممن هو في يد طالبه ومع هذا فكل من طلب
الامان من عباده امنه على اي حال كان اذا علم منه الصدق في طلبه

الامان الامان وزري ثقيل • وذنوبي اذا عددت تطول
اوبقتني واوثقتني ذنوبي • فهل الى الخلاص سبيل

وقوله عز وجل وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت
قال اني تبت الان ولا الذين يموتون وهم كفار اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما فسوى
بين من تاب عند الموت وبين من مات من غير توبة والمراد بالتوبة عند الموت التوبة
عند انكشاف الغطاء ومعاينة المحتضر امور الاخرة ومشاهدة الملائكة فان الايمان
والتوبة وساير الاعمال انما تنفع بالغيب فاذا كشف الغطاء وصار الغيب شهادة فلم ينفع
الايمان والتوبة في تلك الحال وروى ابن ابي الدنيا باسناده عن علي رضي الله عنه قال
لا يزال العبد في مهل من التوبة ما لم ياته ملك الموت يقبض روحه فاذا نزل ملك الموت
فلا توبة حينئذ وباسناده عن الثوري قال قال ابن عمر رضي الله عنهما
التوبة مبسوطة ما لم ينزل سلطان الموت وعن الحسن قال التوبة معروضة لابن ادم
مالم

٩٠

ما لم ياخذ الملك بكظمه وعن بكر المزني قال لا تزال التوبة للعبد مبسوطة ما لم
ياته الرسل فاذا عاينهم انقطعت المعرفة وعن ابي مجلز قال لا يزال العبد في توبة
ما لم يعاين الملك وروى ايضا في كتاب الموت باسناده عن ابي موسى الاشعري
رضي الله عنه قال اذا عاين الميت الملك ذهبت المعرفة وعن مجاهد نحوه وعن حسان
قال بلغني ان ملك الموت اذا غمز وريد الانسان حينئذ يشخص ويذهل عن الناس
وخرج ابن ماجه من حديث ابي موسى مرفوعا قال سالت النبي صلى الله عليه وسلم
متى تنقطع معرفة العبد من الناس قال اذا عاين وفي اسناده مقال والموقوف اشبه و
قد قيل انه انما منع من التوبة حينئذ لانه اذا انقطعت معرفته وذهب عقله لم
يتصور منه ندم ولا عزم فان الندم والعزم انما يصح مع حضور العقل وهذا
ملازم لحضور الملائكة كما دلت عليه هذه الاخبار وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث
ابن عمر ما لم يغرغر يعني اذا لم تبلغ روحه عند خروجها منه الحلقوم فشبه ترددها
في حلق المحتضر بما يغرغر به الانسان من الماء وغيره ويردده في حلقه والى ذلك الاشارة
في القران بقوله عز وجل فلولا اذا بلغت الحلقوم وانتم حينئذ تنظرون ونحن اقرب اليه
منكم ولكن لا تبصرون وبقوله عز وجل كلا اذا بلغت التراقي وروى ابن ابي الدنيا
باسناده عن الحسن قال اشد ما يكون الموت على العبد اذا بلغت الروح التراقي
قال فعند ذلك يضطرب ويعلو نفسه ثم بكى الحسن رحمه الله تعالى

عش ما بدا لك سالما • في ظل شاهقة القصور
يسعى عليك بما اشتهيت • لدى الرواح وفي البكور
فاذا النفوس تقعقعت • في ضيق حشرجة الصدور
فهناك تعلم موقنا • ما كنت الا في غرور

واعلم ان الانسان ما دام يؤمل الحياة فانه لا ينقطع امله من الدنيا وقد لا
تسمح نفسه بالاقلاع عن لذاتها وشهواتها من المعاصي وغيرها ويرجيه الشيطان
بالتوبة في اخر عمره فاذا تيقن الموت وايس من الحياة افاق من سكرته بشهوات الدنيا

صح

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)